

التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح

@ 300 @ المحدثين وعلى كل تقدير فلا بد من تقييد ما أطلقه بأن يكون ادعاؤه لذلك يقتضيه الظاهر أما لو ادعاه بعد مائة سنة من وفاته صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقبل ذلك منه كجماعة ادعوا الصحة بعد ذلك كأبي الدنيا الأشج ومكلمة بن ملكان ورتن الهندي فقد أجمع أهل الحديث على تكذيبهم وذلك لما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر قال (صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة صلاة العشاء في آخر حياته فلما سلم قام فقال أرأيتم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد) الحديث وكان إخباره صلى الله عليه وسلم بذلك قبل موته بشهر كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل أن يموت بشهر تسألونني عن الساعة وإنما علمها عند الله وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وفي رواية له ما من نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ وهذه الرواية المقيدة باليوم يحمل عليها قوله صلى الله عليه وسلم في بعض طرق حديث جابر عند مسلم ما من نفس منفوسة تبلغ مائة سنة .

فقد رأيت بعض أهل العلم استدل بهذه الرواية على أن أحدا لا يعيش مائة سنة ونازعت في ذلك فأصر عليه مع أن في بقية الحديث عنده فقال سالم يعني ابن أبي الجعد وهو الراوي له عن جابر يذاكرنا ذلك عنده إنما هي كل نفس مخلوقة يومئذ وعند مسلم أيضا من حديث أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم) .

والصواب أن ذلك محمول على التقييد بالظرف فقد جاوز جماعة من العلماء المائة وحدثوا بعد المائة وهم معروفو المولد كالقاضي أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري أحد أئمة الشافعية والحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي وغيرهما وقد ورد في بعض طرق هذا الحديث أن المراد بالمائة من الهجرة لا من وفاته صلى الله عليه وسلم رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده من رواية قيس بن وهب الهمداني عن أنس قال حدثنا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا يأتي مائة سنة من الهجرة ومنكم عين تطرف) .

وهذا يرد قول من ادعى أنه تأخر بعد أبي الطفيل أحد من الصحابة كما سيأتي ذلك في آخر من مات من الصحابة إن شاء الله تعالى